١٢- مجادلة

الصبر .. الصبر .. آه ما أجمله.

ورحم الله الشاعر حيث يقول:

ولي كبد مقروحة يا مَن يبيعني

بها كبداً ليست بذات قروحي

وذلكم المسؤول المُتلقي للمراجعين، إنه يصادف القسوة من بعض المجادلين، ويجد المرارة من بعض المترددين.

وكان الله في عونكم أيها الجالسون في مراكز المسؤولية، المواجهون للجمهور، المتعاملون

obeikandl.com

مع العـامة، والويل لكم إن لم تسـتجـيبـوا لهذا والشنار لكم إن لـم تتـعـاطفـوا مع ذاك، ولكن مـهمـا يكن الأمر فـلابد من الحزم والقـوة وإلا ضاعت الأمور وتسيبت الأحوال.

ولقـد كـان معـالي الدكـتـور/ عبـد العـزيز الخويطر حـازم وجاد، وله هيبـة ومكانة، يطلب الرأي من الأقسام المختـصة في الوزارة ثم يتخذ القرار ويحزم.

وأتذكر أن الوزارة أغلقت ذات سنة مـدرسة صغيرة تناقص طلابها، ووفرت للمتبقين وسيلة نقل لمدرسـة مـجـاورة، واعـتـرض رئيس تلك

obeikandi.com

الهجرة، وراجع وألح وحين يئس من أقسام الوزارة، صار يتردد عَليَّ في المكتب فزجرته بقسوة، وأفهمته أن النظام له ولسواه، وأن التعليم من مسؤليتنا وإختصاصنا، وعند ذلك ذهب إلى هجرته، وفي اليوم التالي جاء بالطلاب ومعهم حقائبُهم ونزل بهم في مكتب معالي الوزير، وصار يصرخَ ويُهوِّل ويَصيح ويُولول أين يذهب هؤلاء الطلاب؟ ولماذا الظلم لهؤلاء الصغار؟

وسمع الوزيرُ صياحه وعرف أمرَه ولهذا أرسل برقية لصاحب السمو الملكي أمير منطقة الرياض ووضح له تصرف هذا الجاهل الأرعن

obeikandl.com

وهذا البدوي القاسي، وأمر الشرطةَ أن تخرجه من المكتب، ومنعه من دخول الوزارة، ولما وجد الرجلُ أن الأمر جدٌّ ورأى من معاليه الحزم والقوة، انصرف ولم يعد يراجع.

ومراجع آخر أشغل المسؤولين في الوزارة وصار يتردد على هذا وذاك. ويأتي بالشفاعة تلو الشفاعة، والوساطة إثر الوساطة، ويطلب فتح مدرسة ببلدته التي أنشأها، وبهجرته التي كوّنها، مع أن المدارس حوله قريبة، والخدمات بجانبه ميسرة.

وفي ذات يوم جاء للوزارة وتشكى عند أخي الوكيل المساعد لشؤون المدرسية آنذاك

obeikandl.com

الأستاذ/ محمد الروساء، وأبدى ضجره وأظهر ألمه وقال للروساء: إنه يكاد يختنق وإنه يفكر في التخلص من الحياة لقسوة الوزارة وشدتها ولكثرة تردده وتململه.

وكان الأخ الكريم الروساء رزيناً وعاقلاً يعرف التهويل والتخريف فقال له: أو تريد الهلاك والراحة.

قال الرجل: نعم.

قال الروساء: الآن أُساعدك وأُهيء لك الأسباب.

قال الرجل: وكيف؟.

obeikandi.com

قال الروساء: ضع بطاقتك ومحفظتك.

قال الرجل: ولماذا.

قال الروساء: سوف أخبرك، ثم نهض وفتح شباك مكتبه وقال له: تفضل نحن في الدور الرابع من الوزارة هيا اقفز وتخلص من الحياة واسترح وأرحنا، وسوف أسلم للشرطة بطاقتك ومحفظتك.

وعند ذلك خرج الرجل ولم يعد، وعرف أنه يتحدث مع خبير يعرف التهويل والتخريف، ويعلم التحايل والتلوّن.

ولكن الرجل لم ييأس، إلا أنه يتجنب مكتبي

obeikandi.com

ويتحاشي زيارتي، لأنه يعرف أنني حازم. خاصة حول فتح المدارس في الهجر والقرى فلا أرى تشتيت التعليم، ولا بعثرة الجهود ولا إرضاء هذا والخضوع لذاك، بعد أن غلب على ظني أنه لا يوجد طفل في المملكة بدون تعليم حيث كنت أسأل مديري التعليم في كل منطقة عن هذا الأمر وكان جوابهم لا تقلق فالمدارس منتشرة؛ وإنما المطالبة لمجرد مصالح شخصية، كأن تُستأجر البيوت، ويصبح للهجرة كيان وشأن. كما أن المرافق الحكومية في تلك الهجر تُعطي لرؤسائها شيئاً من الواجهة عند جماعتهم.

وشاءت إرادة الله أن أُصادف ذات يوم في مكتب معالي الوزير د. محمد الرشيد ذلك

الرجل، حيث كان لنا موعـد اجتماع في مكتب مـعاليـه، وجئت وكـان يرافقني أخي د. خـالد العواد الوكـيل المساعد للتـطوير التربوي، وحين دخلنا مكتب مـعـاليـه، وجـدنا الرجل يتـبـاكى ويتشـكَّى، ويكاد مَنْ يسمـعه أن ينخدع بـقوله، وأظن أن مَنْ يراه وهـو في تلك الحـالة يـقـول: اعطفوا عليه، ولا تكونوا قُساة، ولكني أقول: إن إخـوة يوسف عليه السـلام جـاؤوا أباهـم عشـاء يبكون، بعد أن ألقوا أخاهم يوسف في الجب.

ولهذا فليس كل من يتباكى يُصدق، ولا كل من جـادل يُسـمـع، فللوزارة نظـام، ولديهـا ضـوابط وعندها لجـان، وفـي مناطقـهـا رجـالٌ

يزورون المواقعَ التي تحتاج إلى فتح مدارس أو التي يطالب أهلها بفتح مدرسة ويُقررون رأيهم وفق المشاهدة والمعاينة.

المهم أنني حين دخلت مكتب معالي الوزير وسمعت الرجل يُهوِّل ويُزخرف، تكلمت وأخبرت وزير المعارف بحقيقة الأمر وبيّنت أن هجرتَه بجوارها مدارس كثيرة وأن أقرب مدرسة إليه في حدود كيلو ونصف، وكيف نفتح مدرسة بجانب أخرى، وأمثال هذا كثيرون والنظام للجميع، وتضاءل الرجل أمامنا، وتكلم د. خالد العواد الذي يعرف كذلك موقع هجرة المذكور حيث سبق أن عمل مديراً للتعليم

بالرياض فأكد أنني بالغت في البُعد وأن المدرسة القريبة من هجرته أقرب بكثير مما قلته.

وكاد الرجل يُجَّن حين كشفنا أمره، وبينا حقيقته، وصار يصرخ بأعلى صوته بأننا نقف شخصياً دون طلبه وأننا نكيد له، ثم أقسم وطلق بالثلاث، ولا أعلم فربما أنه غير متزوج المهم أقسم أننا نقف شخصياً من ذاته، مع أننا لم نره إلا تلك الساعة وفي تلك الحماقة.

وحين رأينا هذا المشهد البائس ابتعدنا عن المكان، ودخلنا صالة الاجتماعات، وتركناه عند معالي الوزير.

ودارت الأيام وتركت العمل الرسمي في

وزارة المعارف، وعلمت أن الرجل تمادى في المراجعة، وكرر المطالبة، حتى استجابت له الوزارة، وفتحت له المدرسة التي يُطالب بها ولعلّ لها العذر في ذلك فإن الحاضر يرى ما لا يرى الغائب.

إن هذه المدرسة التي لا تبعد عن أختها سوى تسعمائة متر لن يتجاوز عدد طلابها ستة أو سبعة مفرقين في مختلف الصفوف، من الصف الأول الابتدائي حتى السادس الابتدائي.

وإن أولئك المطالبين بتلك المدارس يجهلون الجانب التربوي المهم، والضعف التعليمي لطلاب تلك المدارس فنقص الطلاب في

obeikandl.com

الفصول كزيادتهم، فالتعليم تفاعل وحوار بين المعلم والطلاب وإذا لم يكن في الفصل إلا طالب أو طالبان فكيف سيكون الحوار والنقاش؟

وفوق ذلك الهدر الاقتصادي، ففي المدن للمعلم قرابة ثلاثين طالبًا، أما في تلك الهجر فالعدد لا يتعدى أصابع اليد.

أعان الله القائمين على التعليم في وزارة المعارف والرئاسة العامة لتعليم البنات فكم يلقون من هَمٍّ ولوم وعتاب؟.

وهذا هو الهدر التعليمي أن يكون للمعلم في تلك الهجر طالب واحد أو طالبان، بينما في المدينة للمعلم ثلاثون طالبًا.